
7
قصص
المبشرون
بالجنة
المجاهد
الكريم
سلوى العناني
دار اللطائف

المجاهد الكريم

(طلحةُ بنُ عبيدِ الله)

قالت أمُّ المؤمنين (عائشةُ) :

"كان (أبو بكر) إذا ذكر يومَ أُحدٍ يقول :

ذلك كله كان يومَ (طلحة) .. كنت أول من جاء إلى النبى عليه السلام فقال لى الرسولُ ولأبى عبيدة بن الجراح : "دونكم أخاكم" .

ونظرنا ، وإذا به بضع وسبعون بين طعنة .. وضربةٍ .. ورميةٍ .. وإذا أصبعه مقطوعةٌ .. فأصلحنا من شأنه .

فمن هو (طلحةُ) .. الذى أبلى كل هذا البلاءِ يوم أُحد ؟

هو (طلحةُ بنُ عبيدِ الله) أحدُ المبكرين فى الإسلام والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ..

كان (طلحةُ) أحدَ أثرياء مكةَ .. يعمل بالتجارة بين بلادِ العرب والشامِ ومصرَ واليمنِ .. تجارةً ضخمةً وثراءً وجاهً ومكانةً مرموقةً بين سادةِ قريشٍ ..

سمع يوماً أن الأمين (محمد) يقول عن خبر أتاه من السماء يأمره أن يدعو الناسَ إلى ترك عبادةِ الأصنامِ ، وعبادةِ إلهٍ واحدٍ أحدٍ فردٍ صمدٍ ..

إن هذا الحديثَ ليس بجديد عليه ..

فقد سمع من رهبان الصحراء الذين كان يلقاهم ويجلس إليهم أحيانا .. أن نبيا سيبعث هذا الزمان يدعو الناسَ لعبادةِ الله الواحدِ الأحدِ ..

بل إن أحدهم أخبره أن هذى النبىَّ سيبعث فى مدينةِ البيتِ الحرامِ ..

فهل يكون (محمد) هو هذا النبى ؟ ولم لا ؟ إنه إنسانٌ

صادقٌ أمينٌ يطعم الفقيرَ ويؤوى المسكينَ ويمد يد المســاعدةِ لكل من يطلبها ..

سـأل (طلحةُ) .. من يقف إلى جوار (محمد) ويؤيده فيمـا يقول ؟ قالوا له .. (عتيق بن قحافة) (أبو بكر) ..

وحزم طلحةُ أمرَه .. لابد من لقاءِ محمدٍ .. فـهو (أمـين) .. وكذلك صاحبُه .. فهما بلا شك لن يجتمعا على باطلٍ ..

ذهب (طلحَةُ) إلى (أبى بكر) وسأله عن شأن (محمـدٍ) .. ثم صحبه إلى حيث رسولِ الله ..

ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله ..

وعند خروجهما من عند النبـى قابلـهما (أسـد قريـش) "نوفلُ بنُ خويْلد" .. وكان طاغيةً جبارًا يتفنن فى تعذيـب المسلمين .

فما إن رآهما حتى أدرك أن (أبا بكر) قـد دعـا (طلحَةَ)

إلى الإيمان (بمحمدٍ) ..

وأن الأخيرَ قد آمن فعلاً ، فما كان منه إلا أن أمر عبيده وخدمه وأتباعَه فربطوا (أبا بكر) و (طلحة) فى حبلٍ واحدٍ وساقوهما عذابا وإهانةً ..

ومن يومها يطلق عليهما اسم (القرينان) .. وأنعم بهما من قرينين ، وخشيت قريش عاقبةَ أمرِهـا ، لأنها تُعذب شريفين وجيهين من أشراف ووجهاء مكة فكفت عن تعذيبهما ، واكتفت بتعذيب العبيد والمستضعفين .

ومن هنا بدأت الرحلةُ المباركةُ .

رحلةُ الإيمان التى أخذ فيها (طلحةُ) مكانا بارزًا .

ولم تستسلم قريشُ لما يحدثُ .. إن الدعوةَ الجديدةَ تستقطب إليها نجومَ المجتمعِ القرشى وأثرياءه ولابد من التصدى لهم ..

وتبدأ حملةُ الاضطهادِ ، والمقاطعةِ ، لهذا التاجرِ الذى باع الدنيا واشترى جوارَ رسولِ الله .. لم يأبَه لشىء ، فقد كان إيمانُ (طلحة) إيمانا جعل من صاحبه جنديا وهب حياته وكل ما يملك لخدمةِ هذا الإيمان .

ظل (طلحَةُ بنُ عبيد الله) إلى جوارِ الرسولِ فى مكةَ يدفع عنه الأذى ، ويؤيد الدعوة بماله وقوته ..

ثم هاجر إلى المدينةِ فرارًا بدينه من أذى قريشٍ ، وحارب إلى جوارِ رسولِ الله فى كل غزواته ومعاركه ما عدا غزوةَ بدرٍ ..

أوفد الرسول (طلحَةَ) ومعه (سعيدُ بنُ زيد) فى مهمةٍ استطلاعيةٍ حربيَّةٍ خارجَ المدينةِ .. ولما رجعا كان المسلمون قد رجعوا من بدر منتصرين على قريش ..

وحزن الصحابيان الجليلان أن هذه الفرصةَ قد فاتتهما ..

لكن النبيَّ عليه السلامُ طمأنهما وأخبرهما أن لهما ثواب المقاتلين تماما .. فقد كانا فى مهمةٍ لخدمةِ الدعوةِ الإسلاميةِ ، ومنحهما من الغنائمِ مثلَ ما منح المشاركين فى المعركةِ .

نزل الوحيُ على الرسولِ الكريم يقول :

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } .

ردّد الرسولُ هذه الآيةَ ، وتطلع إلى وجوه أصحابهِ ثم قال: "من سره أن ينظر إلى رجلٍ يمشي على الأرض ، وقد قضى نحبَه .. فلينظر إلى طلحةَ" .

يا الله .. إنها بشارةٌ بالجنةِ .. فهو رجل من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهنيئا له بالبشرى .. البشرى بالجنةِ ..

منح النبيُّ ﷺ (طلحةَ) لقبا لم يمنحه لغيره من الصحابةِ فقد كان يناديه : (طلحة الخير) أو (طلحة الجود) أو

(طلحة الفياض) .

فقد كـان طلحةُ أجودَ النـاسِ وأكثَرهم عطاء لدعوةِ الإسلامِ وكلما زاد خيره زاد إنفاقه ..

دعاه الرسولُ يوما :

"الصبيح ، الفصيح ، المليح" ..

قيل عنه : إنه لا يدعُ أحدا من بنى (تيم) عائلا إلا كفـاه مؤنته ومؤنة عياله ..

كان يزوِّج الأيامى منهم ، ويخدم عائلـهم ، ويقضى ديـنَ غارمهم ..

تحكى زوجةُ طلحة (سـعدى بنت عـوف) عـن زوجـها فتقول :

(دخلت على طلحـة يومـا فرأيتـه مـهموما ، فسألته مـا شأنك) ؟

فقال :

"المال الذى عندى .. قد كثر حتى أهمَّنى وأكْربنى" .

فقلت له : ما عليك . قَسِّمْهُ ..

فقام ودعا الناسَ ، وأخذ يقســمه عليـهم حتى مـا بقى درهم .

ومرة أخرى باع أرضا له بثمن مرتفـع ، ونظر إلى كومةِ المالِ ففاضت عيناه بالدمع ، ثم قال :

"إن رجلا تبيت هذه الأموالُ فى بيته لا يدرى مـا يطرق من أمر ، لمغْرُورٌ بالله" ..

ثم دعا بعضَ أصحابه وحمل معهم أمواله هذه ، ومضـى فى شوارعِ المدينةِ وبيوتها يوزعها حتـى أسْحر ومـا عنـده منها درهمٌ" ..

ويحدثنا (جابر بن عبد الله) عن جود طلحة فيقول :

"ما رأيت أحدًا أعطى لجزيل مال مــن غــير مسألةٍ مــن (طلحة ابن عبيد الله) ..

كان من أكثر الناس برا بأهله وبأقربائـه ، فكـان يعولهـم جميعا على كثرتهم ..

أحب النبيُّ عليه السلام (طلحة) حبًّا شـديدًا حتى أنـه قال فى حديث صحيح :

"طلحةُ والزبيرُ جاراى فى الجَنَّةِ" صدق رسول الله .

هذا هو طلحةُ المجاهدُ بماله فى سبيلِ الدعوةِ الإسلاميةِ ..

فماذا عنه مجاهدا بنفسه كما ذكرنا فى بدايةِ الحديثِ عـن موقفه يوم أُحدٍ ؟؟

جمعت (قريش) أقـوى قواتـها .. وسـلحت فرسـانها وجيشت جيوشَها للثأر لكرامتها وما لحق بها يوم (بدرٍ) ..

وخرج المسلمون لملاقاةِ الكفارِ عند أُحدٍ .. والتحم

الجيشان .. جيشُ الكفار بأعداده الوفيرة وعدته الكثيرة .. وجيش المسلمين بإيمانهم القوى وفدائيتهم المطلقة .. حتى أن كلَّ مسلم كان يساوى فى قوته جيشا بأكمله ..

والتحم الجيشان ..

وكان النصرُ للمسلمين ..

وفرت فرسان الكفرِ المنهزمة مخلِّفةً وراءها الكثيرَ من الغنائم .. وهنا نسى رماةُ المسلمين تعليمات النبىِّ عليه السلامُ بأن يثبتوا فى مواقعهم لا يغادرونها أبدًا .. غرتهم الغنائمُ والأسلابُ واندفعوا إليها تاركين أماكنَهم ..

وانتهز الكفارُ هذه الفرصةَ والتفوا من خلف المسلمين وأحاطوهم وطوقوهم وانهالوا عليهم منتهزين فرصةَ انشغالهم وتركِهم أسلحتَهم ..

وكان النبىُّ (محمد) عليه السلام هو هدفَ الكفارِ فقد

رأوا أن قتله سيكون نهايةً لهذا التهديدِ الذى يعيشونه .. وتفريقا لهؤلاء الذين آمنوا به ، ووقفوا يدافعون عن دينهم وعن نبيهم ..

واتجهت النبالُ ناحيَةَ النبى تتمنى لو تناله ..

ومن البعد لمحه (طلحةُ) .. وكان فتى قويا صحيحا محاربا وفارسًا نادرًا .. وإذ (بطلحة) يقفز ناحية حبيبه النبى الذى آمن به وبدينه ..

وما إن أدركه حتى وجد الدماء تسيل من وجهه الشريفِ .. فاحتضنه بيسراه وصدره بينما كانت يمناه حاملةً سيفَها تضربُ به وكأنها سريةٌ كاملةٌ من المسلمين .

فقد كان وحده يصد عشرات الضربات المشركة التى أرادت بالنبى شرًا .

فى هذا اليومِ رآه (أبو بكر الصديق) .. فكان يقول إذا ما

ذكرت (أُحد) :

ـ (ذلك كله كان يومَ طلحة) ..

هذا هو طلحة فى ميدان القتالِ ..

ولم يكن ليقعد عن غـزوةٍ مـن غـزوات المسـلمين ، بـل شهدها جميعا مع النبى عليه السلامُ ، ثم مع صحابته وتحت إمارتهم ..

وحظى من كل هؤلاء بالتكريم والتبجيل الذى يستحقه منهم ..

ولم لا ؟ وهو واحد مـن الثمانيـة الأوائـل الذيـن آمنـوا بمحمد رسولا وبالإسلام دينا ..

ثم هو واحدٌ من أهلِ الشورى الذى وكَّل لهم عمرَ بعـد وفاته أمر اختيـار خليفـةٍ لـه ليكون أميرا للمؤمنـين مـن بينهم .

مر الرسولُ وأصحابُه فى طريقهم أثناءَ غـزوةِ (ذى قـرد) ببئرِ ماءٍ يقال لها (بيسان) فغير الرسولُ عليه السـلامُ اسمها إلى بئر (نعمان) ..

فلما سمع طلحةُ هذا القولَ مـن الرسول عليـه السـلامُ ذهب لتوه إلى أصحابِ البـئرِ فاشـتراها منهم ثـم جعلـها صدقةً جاريةً يشربُ منها المسلمون ..

وفَرِحَ رسول الله لما فعله (طلحـةُ) وقـال : "مـا أنـت يـا طلحةُ إلا فياض" ..

